التاسع عشر من كتاب الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

تأليف القاضي

عياض اليحصبي

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم • اللهم عونا على طاعتك •

فصل

في الرد على من أجاز عليهم الصغائر

والكلام على ما احتجوا به في ذلك **اعلم** أن
المجوزين للصغائر على الأنبياء عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين
ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر
كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت
بهم إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع وما لا يقول
به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل

فيها

في

فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فإذا لم يكن
مذهبهم إجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت
الدلائل على خطإ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير
إلى ما صح **وها** نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله تعالى
فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر **وقوله**
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات **وقوله**
ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك **وقوله**
عفا الله عنك لم أذنت لهم **وقوله** لولا كتاب من
الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم **وقوله** عبس
وتولى الآية **وما** قص من قصص غيره من الأنبياء ٥

كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقوله عنه ربنا
ظلمنا أنفسنا الآية وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا
له شركاء فيما آتاهما الآية وقوله عن يونس سبحانك
إني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود
وقوله وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا
وأناب إلى مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما
قص من قصته مع إخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى
فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي
صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما أخرت
وما أسررت وما أعلنت ونحوه من أدعيته عليه الصلاة
والسلام وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث

الشفاعة وقوله إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي
حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم
أكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح
وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني
في الذين ظلموا إنهم مغرقون وقال عن إبراهيم
والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله
عن موسى تبت إليك وقوله ولقد فتنا سليمان إلى
ما أشبه هذه الظواهر قال القاضي رحمه الله
فأما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فهذا قد اختلف المفسرون فيه فقيل
المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما

وقع لك من ذنب أعلمه أنه مغفور له وقيل ما كان قبل
النبوة وما تأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر
وقيل المراد بذلك أمته عليه الصلوة والسلام
وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه
الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم
لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتأول قوله
تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال
مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لأمته
وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول
وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فأنزل

الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية
والمؤمنين في الآية الأخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد
الآية إنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان قال
بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من العيوب وأما قوله ووضعنا
عنك وزرك الذي أنقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك
قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة
وقيل معناه أنه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك
لأثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك
ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي وقيل أراد حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية
حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب

وللمؤمنين

ثم بعقله حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل
معناه خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ
عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على
من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم
بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا
او ثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله تعالى
وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل
الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية
واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه وأما
قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي
صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده

الله عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا
من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله
تعالى من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان
له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد
قال الله تعالى له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه
الله تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا
وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر
بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن
صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم
ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون
الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال

ومعناه عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا قال
الداودي روي أنها تكرمة قال مكي هو استفتاح
كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندي
أن معناه عافاك الله وأما قوله في أسارى بدر ما كان
لنبي أن يكون له أسرى الآيتين فليس فيه إلزام ذنب
للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من
بين سائر الأنبياء فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك
كما قال صلى الله عليه وسلم أحلت لي الغنائم ولم
تحل لنبي قبلي فإن قيل فما معنى قوله تريدون
عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب من أراد ذلك
منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها

وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية
أصحابه بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون
يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب
من الله سبق واختلف المفسرون في معنى الآية فقيل
معناها لولا أنه سبق مني أن لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى معصية وقيل المعنى
لولا إيمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به
الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا
وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن أحلت
لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا أنه

سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم. فهذا كله
ينفي الذنب والمعصية؛ لأن من فعل ما أحل له لم يعص
قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
وقيل بل كان تخيير عليه الصلاة والسلام
في ذلك **وقد** روي عن علي قال جاء جبريل إلى النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسارى
إن شاؤوا القتل وإن شاؤوا الفداء على أن يقتل منهم عام
المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا **وهذا** دليل
على صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن
بعضهم مال إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من
الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم

وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
وإلى نحو هذا أشار الطبري **وقوله** صلى الله عليه
وسلم في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا
عمر إشارة إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ
بمأخذه في إعزاز الدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه
وأن هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر
ومثله وعين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن
الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق **وقال**
الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز أن
يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا
دليل من نص ولا جعل الأمر فيه إليه وقد نزهه الله

خـ القضية

تعالى عن ذلك قال القاضي خرج هذا الخبر أهل الصحيح أملا
وقال القاضي بكر بن العلاء أخبر الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من
إحلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية
عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان
وصاحبه فما عتب الله تعالى ذلك عليهم وذلك قبل بدر بأزيد
من عام **فهذا** كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه
وسلم في شأن الأسارى كان على تأويل وبصيرة وعلى
ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله تعالى عليهم لكن الله تعالى
أراد لعظيم أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم إظهار
نعمته وتأكيد منته بتعريف ما كتبه في اللوح المحفوظ من

خ لعظيم
خ بتعريفه

حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار وتذنيب هذا
معنى كلامه **وأما** قوله تعالى عبس وتولى الآيات فليس
فيه إثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام بل إعلام الله تعالى
أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وأن الصواب والأولى
كان لو كشف لك حال الرجلين الإقبال على الأعمى وفعل
النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله
تعالى له لا معصية ومخالفة له وما قصه الله تعالى عليه من
ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده
والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله تعالى وما عليك ألا
يزكى **وقيل** المراد بعبس وتولى الكافر الذي

خ لاتخاذ
خ له
خ أراد

كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام وأما قصة
آدم عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى فأكلا
منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وقوله تعالى ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه
تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل
وقيل أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله
ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
قال ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله
تعالى إليه من ذلك بقوله إن هذا عدو لك ولزوجك
الآية قيل نسي ذلك بما أظهر لهما وقال ابن
عباس إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي

وقيل لم يقصدا المخالفة استحلالا لها ولكنهما
اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين وتوهما
أن أحدا لا يحلف بالله تعالى حانثا وقد روي عذر آدم بمثل
هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما
حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينويا المخالفة
وقتادة
فلذلك قال تعالى ولم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة
وأكثر المفسرين على أن العزم هنا الحزم والصبر
وقيل كان عند أكله سكران وهذا فيه ضعف
لأن الله تعالى وصف خمر الجنة أنها لا تسكر فإذا كان
ناسيا لم تكن معصية وكذلك إن كان ملبسا عليه غالطا
إذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف

وقال الشيخ أبو بكر بن فورك وغيره إنه يمكن
أن يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر
أن الاجتباء والهدى كان بعد العصيان وقيل بل أكلها
متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول
نهي الله تعالى عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا
قيل إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة ٥
وقيل تأول أن الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم
فإن قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى
آدم ربه وقال فتاب عليه وهدى وقوله في حديث الشفاعة
ويذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت فسيأتي

الهداية

الجواب عنه وعن أشباهه مجملا آخر الفصل إن شاء الله تعالى
وأما قصة يونس عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها
آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وإنما فيها أبق وذهب
مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل إنما نقم الله عليه
خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما
وعدهم العذاب ثم عفا الله تعالى عنهم قال والله لا ألقاهم
بوجه كذاب أبدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب
فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة وقد
تقدم الكلام أنه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص
على معصية إلا على قول مرغوب عنه وقوله تعالى أبق
إلى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد وأما قوله

إني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه
فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه
عن قومه بغير إذن ربه تعالى أو لضعفه عما حمله أو لدعائه
بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ
وقال الواسطي في معناه نزه ربه تعالى عن الظلم
وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل
هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا أنفسنا إذ كانا السبب
في وضعهما غير الموضع الذي أنزلا فيه وإخراجهما من الجنة
وإنزالهما إلى الأرض وأما قصة داود عليه السلام
فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيها الأخباريون عن أهل
الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين

(هامش: وضعهما صح)

ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث
صحيح والذي نص الله تعالى عليه قوله وظن داود أنما فتناه
إلى قوله وحسن مآب وقوله فيه أواب فمعنى فتناه
أي اختبرناه وأواب قال قتادة مطيع وهذا
التفسير أولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد
داود على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك وأكفلنيها
فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله
بالدنيا وهو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره وقد بد
خطبها على خطبته وقيل بل أحب بقلبه أن يستشهد
وحكى السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه
قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه وقيل

(هامش: وعدا صح)

بل لما خشيه على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك
والدنيا **وإلى** نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك
ذهب أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين **وقال**
الداودي ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ولا يظن
بنبي محبة قتل مسلم **وقيل** إن الخصمين اللذين اختصما
إليه رجلان في نعاج غنم على ظاهر الآية **وأما** قصة
يوسف وإخوته عليهما السلام فليس على يوسف منها تعقب
وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم
وذكر الأسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الأنبياء قال
المفسرون يريد من نبي من أبناء الأسباط **وقد قيل**
إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار الأسنان

ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله
معنا غدا يرتع ويلعب فإن ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله
أعلم **وأما** قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها
لولا أن رأى برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين
أن هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله صلى الله
عليه وسلم عن ربه جل وعز إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها
كتبت له حسنة فلا معصية في همه إذا **وأما** على
مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا
وطنت عليه النفس سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس
من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق
فيكون إن شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما أبرئ

ح نتاج
ح وان
ح مذهب

نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك منه
على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل
وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف
لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به
ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقد قال تبارك
وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
وقال وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ
الله إنه ربي الآية قيل في ربي الله تعالى وقيل الملك
وقيل همّ بها أي بزجرها ووعظها وقيل همّ بها غمها
امتناعه عنها وقيل همّ بها أي نظر إليها وقيل

همّ بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته
وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل
شهوة حتى نبأه الله تعالى فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت
هيبته كل من رآه عن حسنه وأما خبر موسى عليه السلام
مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى أنه من عدوه قيل
كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة
في هذا كله أنه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه
بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله
هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال
ابن جريج قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى
يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل

وإنما وكزه يريد بها دفع ظلمه **قال** وقد قيل انه هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة **وقوله** تعالى في قصته وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء **قيل** في هذه القصة وما جرى له مع فرعون **وقيل** إلقاؤه في التابوت واليم وغير ذلك **وقيل** معناه أخلصناك إخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار إذا خلصتها وأصل الفتنة الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في اختبار يؤدي إلى ما يكره **وكذلك** ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل ما لا يجب له إذ هو ظاهر الأمر بين

الوجه جائز الفعل لأن موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى لهما فلما جاءه بعد وأعلمه الله تعالى أنه رسوله إليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين عن هذا الحديث أجوبة هذا أسدها عندي وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف **وأما** قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه **وقوله** تعالى

خ معنى

خ أدى

خ بالتعدي

خ ع

ولقد فتنا سليمان فتناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة
او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال
له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة
جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله **قال**
اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه
حين عرض عليه وهو عقوبته ومحنته **وقيل** بل مات
فالقي على كرسيه ميتا **وقيل** ذنبه حرصه على ذلك
وتمنيه **وقيل** لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص
وغلب عليه من التمني **وقيل** عقوبته ان سلب ملكه
وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم **وقيل**
اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما قاله الاخباريون
من خرافاتهم عما فعله وتشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه
وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون
على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله **وان سئل** لم لم
يقل سليمان في القصة المذكورة ان شاء الله ففيه جوابان احدهما
ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد
الله تعالى **والثاني** انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله
هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان
غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك
على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه

لابتلائه

صح
اوخذ

خ
اجوبة احدها

الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال
ذلك **وقيل** بل أراد أن يكون له من الله تعالى فضيلة
وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله
بخواص منه **وقيل** ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته
كإلانة الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد
صلى الله عليه وسلم بالشفاعة **وأما** قصة نوح عليه
السلام فظاهرة العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل
وظاهر اللفظ لقوله تعالى إنا منجوك وأهلك فطلب
مقتضى هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك
لا أنه شك في وعد الله فبين الله تعالى عليه وأنه ليس
من أهله الذين وعده الله تعالى بنجاتهم لكفره وعمله

ونحو هذا
وعده بنجاتهم

الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين ظلموا
ونهاه عن مخاطبته فيهم فوخذ بهذا التأويل وعتب
عليه وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له
في السؤال فيه **وكان** نوح عليه السلام فيما حكاه
النقاش لا يعلم بكفر ابنه **وقيل** في الآية غير
هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه
من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه
وما روي في الصحيح من أن نبيا قرصته نملة فحرق
قرية النمل فأوحى الله تعالى إليه أن قرصتك نملة واحدة
أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا الحديث ما
يقتضي أن هذا النبي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا

فأوخذ
بإذن
بسؤاله
فيمن
فأحرق
الذنب

بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله تعالى ألا ترى
أن هذا النبي كان نازلا تحت شجرة فلما آذته النملة تحول
برحله عنها مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله
تعالى إليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه إلى احتمال الصبر
وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين إذ ظاهر
فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما
لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت
في كل هذا أمرا نهي عنه فيعصى به ولا نص فيما أوحى الله إليه
بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه **فإن قيل** فما
معنى قوله عليه الصلاة والسلام ما من أحد إلا ألم بذنب
أو كاد إلا يحيى بن زكريا أو كما قال عليه السلام فالجواب

خ تا
خ التشجع
خ أمرا نهي عنه فيعصى به

عنه ما تقدم من ذنوب الأنبياء التي وقعت عن غير قصد
وعن سهو وغفلة والله أعلم

فصل

فإن قلت وإذا انتفيت عنهم صلوات الله
عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين
وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف
الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما
سلف منهم وإشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر
من لا شيء **فاعلم** وفقنا الله تعالى وإياك أن درجة
الأنبياء عليهم السلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله

تعالى وسننه في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه
مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة
بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها
ولا أمروا بها إن أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا
من المؤاخذة بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو أو تزيد
من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب
بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال
طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب
مأخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء أي
آخره وأذناب الناس رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم
وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة

ح وعظيم

بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
الظاهر والخفي والخشية لله تعالى وإعظامه في السر
والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش
بما يكون بالإضافة إلى هذه الهنات في حقه كالحسنات
كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين أي يرونها بالإضافة
إلى علي أحوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة
فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو أو تأويل فهي
مخالفة وترك **وقوله** غوى أي جهل أن تلك الشجرة
هي التي نهي عنها والغي الجهل **قوله** أخطأ ما طلب
من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته وهذا يوسف
عليه السلام قد وخذ بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني

ح ما
ح النبو

عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع
سنين وقيل أنسي يوسف ذكر الله تعالى وقيل
أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك قال النبي
صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث
قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت
من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة
البلوى وقال بعضهم أخذ الأنبياء بمثاقيل الذر
لمكانتهم عنده وتجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم
في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب وقد قيل
المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه إذا كان الأنبياء
يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان

ح أنه

ح يؤاخذ الأنبياء

ح وتجاوز

وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذا في هذا أسوأ حالا
من غيرهم فاعلم أكرمك الله تعالى أنا لا نثبت
لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول
إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في
درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له
سببا لمنماة رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال
بعد قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك على الناس وقال
بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته فسخرنا له الريح إلى وحسن
مآب قال بعض المتكلمين زلات الأنبياء في الظاهر
زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو مما قدمناه

ح لهم

ح وتنبيهم

ح قوله

وأيضا فلينتبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس
في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا
المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر
على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النمط الرفيع المعصوم
فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر
داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن
ما قص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن
استزادة من نبينا عليه الصلوة والسلام وأيضا
فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر
باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الأنبياء عليهم السلام
من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة

خ النصاب

خ منهم

على هذا إنما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم
منها وهي مغفورة إن كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن
المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل وقد قيل
إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره
من الأنبياء عليهم السلام على وجه ملازمة الخضوع والعبودية
والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه كما قال
صلى الله عليه وسلم وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر
أفلا أكون عبدا شكورا وقال إني لأخشاكم لله
وأعلمكم بما أتقي قال الحرث ابن أسد خوف
الملائكة والأنبياء عليهم السلام خوف إعظام وتعبد لله
تعالى لأنهم آمنون وقيل تفعلوا ذلك ليقتدي بهم وتستن

خ أخشاكم

بهم أمهم كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وأيضاً فإن في التوبة
والاستغفار معنى آخر لطيفاً أشار إليه بعض العلماء وهو
استدعاء محبة الله تعالى قال الله تعالى إن الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فإحداث الرسل والأنبياء
عليهم السلام الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة
في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى
التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام
بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والأنصار الآية وقال فسبح
بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا

فصل

قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه
ما هو الحق من عصمته عليه الصلوة والسلام عن الجهل
بالله تعالى وصفاته أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من
ذلك كله جملة بعد النبوة عقلاً وإجماعاً وقبلها سمعاً
ونقلاً ولا بشيء مما قرره صلى الله عليه وسلم من أمور
الشرع وأداه عن ربه عز وجل من الوحي قطعاً عقلاً
وشرعاً وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه
الله وأرسله قصداً أو غير قصد واستحالة ذلك عليه
شرعاً وإجماعاً ونظراً وبرهاناً وتنزيهه عنه قبل النبوة
قطعاً وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً وعن الصغائر تحقيقاً وعن

استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان
عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب
وجد ومزح مما يجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد
الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم
فايدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او
يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يؤمن ان يعتقد
في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز ان
يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك
الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز
عليه يحل بصاحبه دار البوار **ولهذا** ما احتاط صلى
الله عليه وسلم على الرجلين اللذين راياه ليلا وهو معتكف

خ يجب عليك
خ تأمن
خ يجب

في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما
ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت
ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا **قال القاضي**
رضي الله عنه هذه اكرمك الله احدى فوايد ما تكلمنا
عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع
شيئا من هذا يرى ان الكلام فيه جملة من فضول العلم
وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفايدة
التي ذكرناها **وفايدة ثانية** يضطر الينا في اصول
الفقه وتنبني عليها مسايل لا تنعد من الفقه ويتخلص
بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها **وهي** الحكم
في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم

خ منها
خ او

وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز
عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا
وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال
الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به **وفايدة
ثالثة** يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى
النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الأمور ووصفه بها
فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه
والخلاف كيف يصمم في الفتوى في ذلك ومن أين يدري هل
ما قاله فيه نقص أو مدح فإما أن يجترئ على سفك دم مسلم
حرام أو يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم

خ الفتيا

ولسبيل هذا ما قد اختلف أرباب الأصول وأئمة العلماء
والمحققين في عصمة الملائكة عليهم السلام

فصل

في القول في عصمة الملائكة عليهم السلام

قال القاضي رضي الله عنه أجمع المسلمون
أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن
حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا
عصمتهم منه وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم
كالأنبياء مع الأمم **واختلفوا** في غير المرسلين منهم
فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله

خ بأن

تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله
وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن
المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وبقوله
إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية وقوله
كرام بررة ولا يمسه إلا المطهرون ونحوه من السمعيات
وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم
والمقربين واحتجوا بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير
نحن نذكرها بعد ونبين الوجه فيها إن شاء الله تعالى
والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع
عن جميع ما يحط من رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت

بعض شيوخنا أشار إلى أن لا حاجة بالفقيه إلى الكلام
في عصمتهم وأنا أقول إن للكلام في ذلك ما للكلام
في عصمة الأنبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة
الكلام في الأقوال والأفعال فهي ساقطة هاهنا فمما
احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وما
روت وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقلة المفسرين
وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما
فاعلم أكرمك الله تعالى أن هذه الأخبار لم يرو
منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن
اختلف المفسرون في معناه وأنكر ما قال بعضهم فيه

كثير من السلف كما سنذكره، وهذه الأخبار من كتب
اليهود وافترائهم كما نصه الله تعالى أول الآيات من افترائهم
بذلك على سليمن وتكفيرهم اياه، وقد انطوت القصة على
شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه
الإشكالات إن شا الله تعالى **قال** القاضي رحمه الله،
فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان
او انسانان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة
ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل على الملكين
وما يعلمان من احد نافية او موجبة **فأكثر** المفسرين
ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه
وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن **قال**

خ عمله

الله تعالى إنما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس
له تعليم انذار اي يقولان لمن جا يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا
فإنه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا بكذا فإنه
سحر فلا تكفر فعلى هذا فعل الملكين طاعة،
وتصرفهما فيما أمرا به ليس معصية وهي لغيرهما فتنة
وروي ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده
هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن
ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين
فقال خالد لم ينزل عليهما **فهذا** خالد على جلالته
وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انه
مأذون لهما في تعليمه بشريطة أن يبينا انه كفر وانه

تعليم — خ تعليم
خ تخيلوا
خ بمعصية
خ الناس
خ قد غيره النقيصة

امتحان من الله تعالى وابتلاء وكيف لا ننزههما عن
كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار **وقول**
خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس **قال**
مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر
الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود
وما انزل على الملكين **قال** مكي يريد بهما جبريل
وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا انه
على سليمان فاكذبهم الله تعالى في ذلك ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت
قيل هما رجلان نعلمه قال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين

كبير

ادعى عليهما اليهود

بكسر اللام ويكون ما ايجابا على هذا **وكذلك** قراءة
عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان
هاهنا داود وسليمن ويكون ما نفيا على ما تقدم **وقيل**
كانا ملكين من بني اسرايل فمسخهما الله تعالى حكاه
السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة **فمحمل**
الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة
ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا **وقد** وصفهم
الله تعالى بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله
ما امرهم **ومما** يذكرونه قصة ابليس وانه كان من
الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه
وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس

محمل

من قصة

وهذا أيضا لم يتفق عليه بل الأكثر ينفون ذلك وأنه
أبو الجن كما آدم أبو الإنس وهو قول الحسن وقتادة وابن
زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم
الملائكة في الأرض حين أفسدوا والاستثناء من غير الجنس
شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم
إلا اتباع الظن ومما رووه في الأخبار أن خلقا من
الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا وأمروا أن يسجدوا لآدم
فأبوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله تعالى
إلا إبليس في أخبار لا أصل لها تردها صحاح الأخبار فلا يشتغل بها

ح وهذا

ح يشتغل

الباب الثاني

فصل

فيما يخصهم صلوات الله وسلامه عليهم

في الأمور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية
قال القاضي رحمه الله تعالى قد قدمنا أنه
صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والرسل عليهم السلام
من البشر

تتلوه في الجزء العشرون
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه
آمين

انهاه قراءة الفاضل
شمس الدين بن [illegible]
كتبه أحمد الشمني

[illegible]